Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا أريد هنا – بطبيعة الحال – أن أتحدث عن وظيفة الشعر ، ولكنى أريد أن أتحدث عن الوسائل اللغوية التى يصطنعها فتجعله كلاما غير الكلام العادى ، أو لغة داخل اللغة ، أو – إن شئنا الدقة والاختصار معا – تجعله شعرا .

وهذه الوسائل متشابكة متداخلة تشمل كل جوانب الظاهرة اللغوية ، وقد درست من قديم ، وما تزال تدرس حتى يوم الناس هذا . وقد اهتم كل فريق من الباحثين بوسيلة منها دون الأخريات ، حتى بدت كأنها مستقلة عما سواها . وعلى سبيل المثال اهتم العروضيون بالوزن وتفعيلاته وأعاريضه وأضربه ، واهتم علماء القافية بحدودها وأنواعها وعيوبها حتى قيل فى تعريف الشعر : « إنه قول موزون مُقَفًّى يدل على معنى » [1] مع أنهم يعرفون – وكذلك يعرف الآخرون – أن تحقق الوزن واستواء القافية وحدهما لا يصنع « شعرا » ، وهم مع ذلك لم يدرسوا فاعلية الوزن ولا تأثير القافية فى تحقق « المعنى » الذى يدل عليه الشعر ، بل اكتفوا بالوصف الظاهرى فحسب ، على حين يقوم الوزن والقافية بدور عظيم فى جعل الشعر شعرًا من جانب ، ويتدخلان فى بناء الجملة الشعرية من جانب آخر .

إن مَثَلَ العروضيين فى هذه الحال كمثَلِ النحويين الذين يعنيهم مثلا أن الفاعل مرفوع ، وأنه هو الذى فعل الفعل أو اتصف به ، وأنه لا يتقدم على فعله ، وأن الفعل تتصل به علامة التأنيث وجوبا إذا كان مؤنثا حقيقيا غير مفصول من الفعل ، ولا يعنيهم بعد ذلك شىء آخر ، ويتحقق لهم ما يريدون فى مثالهم الأثير : « ضرب زيدٌ عمرًا » . لكن الانكسار فى القوانين الاختيارية الذى يحدث عند إسناد بعض الأفعال لبعض الأسماء فيحقق دهشة معينة أو خروجا عن المألوف لم يكن يعنيهم مع أنه من صميم النظرية النحوية ، ففى قول المتنبى مثلا :

فلم أر قبلى من مشى البحرُ نحوه ولا رجلًا قامتْ تعانقُه الأسْدُ

---

(١) انظر : نقد الشعر لقدامة بن جعفر : ١٧ (تحقيق : كمال مصطفى) .